

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

من حسن حظ المهتمين بتاريخ الحروب الصليبية ان لديهم اربعة نصوص وثائقية حول بداية هذه الحروب وما عرف باسم الحملة الاولى ، وثلاثة من هذه النصوص كتب باللاتينية من قبل افراد شاركوا بالحملة وكانوا ضمن العاملين بها ، لكن كل واحد منهم ارتبط بواحد من قادة الفرنجة وبذلك عبر عن موقفه ، فضلا عن ان كتابات كل واحد من هؤلاء تأثرت بثقافته واختصاصه وخلفياته ، وهي على العموم ليس كتابات تاريخية رفيعة المستوى لكنها مع ذلك هامة لانها وثائقية .

واما النص الرابع فقد كتب بالاغريقية من قبل الاميرة (حنة) انا كومينا ، ابنة الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين ، وكان على عرش القسطنطينية اثناء الحملة وشغل في احدائها دورا كبيرا ، وولدت انا لابيها في كانون اول سنة ١٠٨٣ م في « الغرفة الارجوانية » في القصر الامبراطوري ، ولقيت منه عناية كبيرة حتى غدت ثقافتها ممثلة لمعارف عصرها ، وللنزعات التي كانت تسود الفكر البيزنطي في القرن الحادي عشر وبدايات الثاني عشر .

كتبت الاميرة انا كتابا حمل اسم « الالكسياد » وهذا الاسم مقتبس من اسم والدها اوقفته للتأريخ لحياة ابيها

ولما شهدته عهده من وقائع جليلة ، ورسمت انا في كتابها صورة رائعة لحياة ابيها منذ ولادته وشرحتها شرحا وافيا يفيد الباحث التاريخي من كافة الجوانب ، لكن يلاحظ ان الاميرة انا كوميانا قد كتبت تاريخها بلغة صعبة جدا ، واسلوب جاء في غاية التعقيد ، وذلك نتيجة مباشرة للثقافة الكلاسيكية التي تلتقتها في القصر الامبراطوري في القسطنطينية ، وهي لاشك ثقافة كان فيها شعر وتاريخ وفلسفة اغريقية ، ولطبيعة اسلوب الاميرة انا كوميانا وجدت صعوبات جمة في عملية النقل الى العربية ، وفي الحقيقة واجهت الصعوبات لدى ترجمة كل نص من نصوص موسوعتنا ، فلكل كاتب بالاصل اسلوبه وعقليته وطرائق عرضه لاخباره ، ولهذا من المحال الاتيان باسلوب واحد ، او بالحري فرض اسلوب محدد لنصوصنا كلها ، ويسوغ هذا طبيعة العمل وعنوانه الموسوعي .

ويعد كتاب الالكسياد مصدرا متفردا بالنسبة للتاريخ البيزنطي ، وخاصة بما يخص الفترة التي يغطيها ، زد على هذا كما سلف بي القول انه مصدر اساسي لتاريخ الحروب الصليبية يرقى الى الدرجة الوثائقية ، فمن هذا الكتاب نستقي معلومات عن محاولة بيزنطة اعادة امجادها ، وعن اجتماع المسيحية الشرقية والغربية على تنفيذ هدف واحد ، وهو الحملة الصليبية والقضاء على الاسلام والمسلمين بكل وسيلة ممكنة ، ويلاحظ القارئ ان الاميرة انا كوميانا استولت عليها عواطفها وميولها ولهذا بالغت في وصفها لبعض الاحداث وتعمدت طمس بعض الاخطاء ، وهي كسيدة عالية الثقافة شديدة الملاحظة بارعة في الوصف ، عميقة الاحاسيس ، وهذه المزايا مع المعلومات التي استطاعت

الوقوف عليها بحكم مركزها الرفيع والتي ضمتها كتابها ،
قد جعلت هذا الكتاب فريداً من نوعه ، متميزاً في بابه ،
ونموذجاً رفيعاً للكتابات التاريخية البيزنطية .

وانا لم اترجم كتاب الالكسياد بمجمله بل ترجمت منه فقط
ماتعلق باحداث الحروب الصليبية ، وسيجد القارئ متعة
وفائدة عظيمة في مقارنة مواد الاميرة انا كومينا عن وقائع
الحملة الاولى بمواد المصادر اللاتينية الثلاثة التي اشترت
اليها اعلاه ، واول هذه المصادر واهمها مجهول المؤلف ،
اختلف المؤرخون حول تحديد شخصيته ، وكان برفقه الامير
النورمندي بوهيموند ، وقد كتب يوميات « عن اعمال
الفرنجة » ويرجح انه كان انسانا عاديا ، مشى في ركاب
الامير بوهيموند واعجب به لهذا نراه يطريه في كل موضع
ومناسبة ، ويهتم بأخباره اكثر من اخبار غيره من قادة
الفرنجة ، وقد روى أخباره بكل بساطة ودونما تصنع وذلك
تناسب مع ثقافته ووضعه كجندي عادي .

ونعرف ان بوهيموند استحوذ على انطاكية بعد الاستيلاء
عليها وجعل منها مقرا لامارة خاصة به ، وانه بسبب ذلك
خاض صراعات مع عدد من امراء الحملة الاخرين خاصة مع
ريموند صنجيل .

ولهذا عندما زحفت الحملة نحو القدس بعدما مغادرتها
لمعرة النعمان ، ذهب صاحب اليوميات مع الامير تانكرد
الى القدس ودون اخباره حتى سنة ١٠٩٩ ، ولاندرى سبب
توقفه مع هذا التاريخ ولامصيره الشخصي ، وانتشر كتابه في
القدس سنة ١١٠٠ م ، وقد حمله بوهيموند معه الى اوربا

وسعى الى نشره والترويج له ، ربما لاعتقاده انه يتضمن
الاطراء له .

ولئن اوقف صاحب اليوميات جل مواده على بوهيموند
وتانكرد ، فانه كان برفقه ريموند صنجيل من كتب اخباره ،
وهو الكاهن الخاص به واسمه ريمون دي جيل (اوريموند
اوف اغويلرز) وماكتبه رجل الدين هذا يختلف بالاسلوب
والرؤى والاهتمامات عما كتبه صاحب اليوميات ، وهو لهذا
يكمل كل منهما الاخر ، ولاشك ان القارئ الكريم سيقدر
كتاب ريمون كثيرا بعد قراءته لما جاء في الكتاب الرابع من
موسوعتنا حول الاوضاع الدينية الاوربية اثناء الحملة
الاولى وبعدها

وكان ريمون دي جيل قد بدأ مشروع كتابه بالتعاون مع
فارس مغمور اسمه بونز بالأزون و كان من فرسان
صنجيل ، و قد لاقى في حثفه اثناء حصار عرقه لذلك تولى
ريمون اكمال المشروع لوحده ، ولم يكن ريمون عالي
الثقافة ، لكنه كان رجل دين متعصب جدا يؤمن بالغيبيات ،
وهو بالوقت نفسه بارع في اداء الطقوس الكنسية ، ومتشرب
بعقيدة النصر النهائي للنصرانية ، ولايعرف التسامح ولهذا
سوغ ابشع الاعمال التي اقترفها الفرنجة مثل الابادة
الجماعية للمسلمين واكل لحوم الموتى منهم .

ولم اثقل متن كتاب دي جيل بالحواشي تجنبنا للتكرار ،
وحافظت قدر الامكان على اسلوبه على غرابته لابل على
ركاكته ، فهمي منحصر هنا بالمعلومات وليس بالاسمو الادبي .

ومر بنا من قبل انه بالاضافة الى بوهيموند وصنجيل كان

غودفري واخوه بلدوين بين ابرز قادة الحملة الاولى ، ولقد رأينا بلدوين يمضي مع قوة خاصة به شرقا قبل حصار انطاكية ، إلى الرها حيث اسس دويلة صليبية فيها ، وبعدما احتل الفرنجة القدس اختاروا غودفري ليتولى الحكم فيها ، واثر وفاة غودفري جاء اخوه بلدوين من الرها وتسلم الحكم في القدس ، وقد عبه المؤرخون اول ملوك المملكة اللاتينية في القدس ، لأنه ارسى قواعد هذه المملكة ، بل لأن لقب غودفري كان « حامي القبر المقدس ».

ولم يكن بلدوين اقل حظا من بوهيموند وصنجيل حيث اهتم به فولتشر اوف تشارارز ، وهو فرنسي ولد في تشارترز سنة ١٠٥٨ او ١٠٥٩ م ، وشارك في الحملة الاولى وادرك الاهمية الخاصة لهذه الحملة فاهتم بامر تدوين اخبارها مما شاهده اوسمع به ، وحين توجه بلدوين الى الرها عام ١٠٩٨ م رافق اليها وبقي معه عامين اي الى ان جاء القدس وتسلم عرشها ، وكان فولتشر كاهن بلدوين الخا ، ولهذا رافقه في حروبه واسفاره ، ولعله عمل ايضا كمستشار له.

وجاء تاريخ فولتشر زاخرا بالمعلومات ، لأن وضع صاحبه مكته من الاطلاع عن كذب على نخائل الامور وكثير من التفاصيل مما لم يره غيره ولم يسجله ، ووقع هذا التاريخ في ثلاثة اقسام ، او كتب ، بدأ اولها بأخبار البابا اوربان الثاني ومجمع كلير مونت وانتهى بموت غودفري في القدس ، وغطى الثاني اخبار حكم بلدوين الاول حتى وفاته في العريش ، اما الثالث فتضمن اخبار بلدوين الثاني حتى

سنة ١١٢٧ م حيث من المرجح وفاة المؤلف في هذه السنة ،
او عجزه عن متابعة الكتابة.

مما تقدم تتضح اهمية النصوص الاربعة التي نقدم لها
الآن ، هذه النصوص التي لم يسبق لكتاب عربي جمعها ،
لكن لا بد من التذكير انها لاتحتوي على جميع المواد
الاخبارية عن الحملة الاولى في التراث الاوربي ، ففي تاريخ
وليم الصوري - الذي كنت قد ترجمته ونشرته في بيروت -
المزيد من التفاصيل المفيدة ، فضلا عن انه لدى العرب
والسريان الكثير مما يقال ويروي ويصور الأحداث ، وهذا
ما سنلحظه في ثنايا كتابنا بمجمله.

وايضا لم اثقل فولتشر بالدواشي تجنبا للتكرار ، واملي
كبير في ان اكون قد وفقت في عملي والله المعين والمرشد الى
الساد ، له الحمد والشكر والصلاة والسلام على سيدنا
محمد وعلى اله واصحابه اجمعين.

دمشق ١٠ شوال ١٤١٣

سهيل زكار

٢ نيسان ١٩٩٣

من كتاب الألكسياد للأميرة أنا كومينا